العرب
الجمعة 2021/09/03
السنة 44 العدد 12168

لقد تعلمنا الدرس: من يثق بعد اليوم بالولايات المتحدة

تركيا تأمل بالخروج من مأزقها الاقتصادي عبر التفاهم الإقليمي مع دول المنطقة

مع مغادرة آخر الطائرات الأميركية العاصمة كابول، فإن أفكار صانعي السياسات يجب أن تتحول إلى المستقبل وإلى كيفية التعامل مع حقيقة جديدة في العلاقة مع الولايات المتحدة والتعويل عليها. ويتوقع محللون سياسيون أن المنطقة العربية مقبلة على علاقات مختلفة كليا عما مرت به خلال السنوات العشر الأخيرة، خصوصا في العلاقة مع تركيا وإيران.

بغداد- بينما لم تنه بعد التحليلات السياسية ما بجعبتها من آراء متفائلة ومتشائمة من نتائج قمة بغداد التي جمعت الأضداد على طاولة مستديرة في القصر الجمهوري بالمنطقة الخضراء، بدأت السيناريوهات تتوسع بشأن مستقبل العلاقة الفلسطينية العربية وخصوصا ما يتعلق بعلاقة الرئيس محمود عباس بالسعودية، مع القمة الثلاثية التي تشهدها العاصمة المصرية بين الرئيس عبدالفتاح السيسي والعاهل الأردني الملك عبدالله الثاني والرئيسي الفلسطيني محمود عباس.

قبل قمة بغداد التي كان الرئيس الفرنسي مانويل ماكرون شاهدا دوليا عليها وجمعت الأضداد من دول جوار العراق "باستثناء سوريا" مع مصر وقطر والإمارات. لا يغفل المتابعون التواصل الملفت بين الإمارات من جهة وتركيا وقطر من جهة أخرى، عندما زار مستشار الأمن الوطني الإماراتي الشيخ طحنون بن زايد العاصمتين التركية والقطرية والتقى الرئيس رجب طيب أردوغان والشيخ تميم بن حمد آل ثاني.

وقبلها إعلان الاستعداد لطيّ خلافات الماضي بين مصر وتركيا، أو على الأقل وضعها في المختبر السياسي. ومن الأهمية السياسية أيضا الإشارة إلى التواصل الحذر بين السعودية وإيران.

استباق الأحداث

وتجمع القراءات السياسية على أن القادة العرب يحاولون استباق موجة الأحداث.

ونقلت صحيفة فايننشيال تايمز عن وزير خارجية عربي وصفته بـ"المخضرم"، ملاحظته أن "المشكلة الأساسية هي اعتماد العرب على الأجانب، وبعد ذلك، عندما يغير الأجانب سياساتهم، نكون ضائعين".

فهل يمكن أن نعزو كل هذا التصاعد في التقارب على الأقل في المحيط العربي والإقليمي، إلى ما أقدمت عليه إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن في أفغانستان. إنها نكثت وعود عشرين عاما وأهدرت المليارات وفقدت الآلاف من جنودها وبعدها فرت مذعورة!

ومع مغادرة آخر الطائرات الأميركية، فإن أفكار صانعي السياسات يجب أن تتحول إلى المستقبل وإلى كيفية التعامل مع حقيقة جديدة في العلاقة مع الولايات المتحدة والتعويل عليها.

وفي منطقة تم تعلم درس آخر للتوّ في عدم موثوقية الولايات المتحدة، سيكون من المفيد التأكيد على أن تستكشف واشنطن قوة المصلحة الذاتية للآخرين.

ويتوقع محللون سياسيون أن المنطقة العربية مقبلة على علاقات مختلفة كليا عما مرت به خلال السنوات العشر الأخيرة، خصوصا في العلاقة مع تركيا وإيران.

ويبرز هنا الخلاف السياسي بين إيران والسعودية منذ سنوات حيث يخوضان حربا بالوكالة عبر حلفاء لهما في اليمن وسوريا والعراق. وقطع البلدان العلاقات الدبلوماسية في عام 2016.

وقال دبلوماسي خليجي أن إيران بدأت تنتهز الواقع الجديد وتبعث برسائل إلى الرياض وأبوظبي بشأن مستقبل العلاقة معهما.

وأضاف الدبلوماسي في تصريح لـ"العرب" أن مركز القرار في السعودية والإمارات يتعامل مع الرسائل الإيرانية وفق جدية الأفعال، لكنه عبر عن توقعه بأن تغييرا ما مقبل في العلاقة الجديدة بين البلدين.

وعزا ذلك إلى التغيرات المتصاعدة التي تشهدها المنطقة، وأن قادتها تعلموا الدرس جيدا من كابول، معولين على المحيط الإقليمي أكثر من علاقتهم مع الولايات المتحدة التي طالما سميت من قبل بالاستراتيجية.

وقال وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبداللهيان إنه ناقش سبل تحسين العلاقات خلال اجتماع مع نائب رئيس دولة الإمارات الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم على هامش قمة بغداد.

وأضاف "تحدثنا في هذا الحوار عن النوايا الإيجابية ورغبة زعيمي البلدين في تقوية العلاقات... إن العمل مع الجيران هو أولوية الحكومة الإيرانية الجديدة".

ونُقل عن سفير إيران لدى بغداد إيرج مسجدي قوله إن "إيران تخطط لإجراء جولة رابعة من المحادثات مع السعودية في العراق بعد تشكيل الحكومة الإيرانية الجديدة".

تجاورت الأعلام وتباعدت السياسات

لا نعتمد على واشنطن

ويرى ديفيد غاردنر، محرر الشؤون الدولية في صحيفة فايننشال تايمز البريطانية، أن "كارثة الولايات المتحدة والغرب في أفغانستان تدق ناقوس الخطر من شرق أوكرانيا إلى مضيق تايوان. لكن في الشرق الأوسط، ساحة الغزوات الأنغلو- أميركية المتسلسلة، كان رد فعل القادة على استسلام الولايات المتحدة متحفظا. لقد بدا بالفعل للحلفاء والخصوم على حدّ سواء، أنهم لا يستطيعون الاعتماد على الولايات المتحدة".

وكتب غاردنر المختص بشؤون الشرق الأوسط "أظهر الغزو والاحتلال بقيادة الولايات المتحدة للعراق عام 2003 حدود قوة أميركا وعدم قدرتها على تشكيل الجغرافيا السياسية في المنطقة".

ويرى الكاتب أن "عدم الموثوقية الأميركية دفعت القادة في جميع أنحاء الشرق الأوسط إلى بدء حوار يهدف إلى الانفراج، بدلا من الاعتماد على الأطراف الخارجية".

وكان الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب يتجه بشكل فوضوي نحو الخروج من سوريا والعراق عندما أبرم في فبراير من العام الماضي اتفاق الانسحاب مع طالبان، مما أدى إلى تقويض الحكومة الأفغانية التي لم يكلف نفسه عناء التشاور معها. الأكثر إثارة للقلق بالنسبة لحلفاء الولايات المتحدة من دول الخليج العربي، رفض ترامب تقديم المساعدة للسعودية بعد أن هاجمت إيران شركة أرامكو السعودية بطائرة دون طيار وصواريخ في عام 2019.

إيران بدأت تنتهز الواقع الجديد وتبعث برسائل إلى الرياض وأبوظبي بشأن مستقبل العلاقة معهما

وطالب غاردنر الرئيس الأميركي جو بايدن بإيجاد طريقة لمنع الكارثة الأفغانية من زيادة جرأة إيران.

وطالما تغاضت الولايات المتحدة عن مشاريع إيران في بناء محور عبر الأراضي العربية منذ غزو العراق.

ويتمثل أحد أهداف بايدن الرئيسية "في إحياء اتفاق ضبط النفس لعام 2015 الذي وقعته إيران مع الولايات المتحدة وخمس قوى عالمية، والذي انسحب منه ترامب من جانب واحد في عام 2018. وتريد الولايات المتحدة وحلفاؤها أيضا كبح إيران والقوات شبه العسكرية المدعومة من طهران في بلاد الشام والخليج واليمن".

على الجانب الآخر لا تبعث كل القراءات بنظرة متفائلة بشأن مستقبل العلاقة الخليجية من جهة والتركية الإيرانية من جهة أخرى.

ويبعث الاتصال الهاتفي بين ولي عهد أبوظبي الشيخ محمد بن زايد آل نهيان والرئيس التركي رجب طيب أردوغان على التهدئة من أجل مناقشة الملفات الإقليمية، لكن هذا التقارب يأتي ضمن مناخ إقليمي تضغط فيه الولايات المتحدة على معظم الأطراف الحليفة في المنطقة من أجل تخفيف التوترات لإتاحة الفرصة أمام معالجة الملف الإيراني ببعديه النووي والإقليمي، وهو ملف تضعه الولايات المتحدة كأولوية.

ديفيد غاردنر

فقدان الثقة بواشنطن دفع قادة الشرق الأوسط إلى سياسة الانفراج

وبينما تبدو الثقة السعودية برسائل إيران مبعث شك، فمصدر القرار السعودي يدرك جيدا أن لدى إيران استراتيجية معلنة لتتمدد في المنطقة وفق أيديولوجيتها الطائفية، والتجارب السابقة مع طهران لا تبعث على الثقة في بيئة إقليمية جديدة.

ويمكن البناء على الموقف السعودي من إيران تأسيسا على آخر تصريح لوزير الخارجية الأمير فيصل بن فرحان.

وأعلن الأمير فيصل أن بلاده تناقش مع الولايات المتحدة أنشطة إيران وعرقلتها للملاحة البحرية.

وقال إن الرياض طرحت مبادرة لحل أزمة اليمن لكن الحوثيين رفضوها.

وعبر وزير الخارجية السعودي عن اعتقاده بأن إيران باتت أكثر جرأة وأنها تنتهج طرقا سلبية في أنحاء الشرق الأوسط، وتعرض الملاحة البحرية للخطر، فضلا عن تسليح الحوثيين والضلوع في المأزق السياسي في لبنان.

وأضاف الوزير "في جميع أنحاء المنطقة لا تزال إيران تتصرف بجرأة أكثر".

دمشق عاجزة عن حصار درعا لولا موسكو وطهران

نيل هاور
محلل أمني كندي
مقيم في جورجيا

كشف الشهران الماضيان في جنوب سوريا مرة أخرى ضعف نظام بشار الأسد المزق، ومدى اعتماده الكامل على شركائه الروس والإيرانيين للحفاظ على سيطرته حتى على المناطق التي يسيطر عليها ظاهريا، ومثل سقوط كابول حكاية تحذيرية لبشار الأسد.

وكانت مدينة درعا، المُحاذية للحدود الأردنية، من بين المناطق التي أعادتها وساطة روسية مع الثوار إلى سيطرة النظام في عام 2018. وقد كانت درعا أحد مراكز الثورة السورية في عام 2011، وشهدت المنطقة اندلاع أول احتجاجات حاشدة ضد الأسد، وظلت المدينة واحدة من أكثر المناطق معارضة للحكومة طوال عقد من الزمان. وعندما توصلت بعض فصائل الثوار المحلية إلى "اتفاق مصالحة" مع دمشق في عام 2018، كان الاتفاق في درعا مختلفا عن تلك الاتفاقات المبرمة في مناطق الثوار الواقعة في شمال حمص والغوطة الشرقية، حيث سُمح للمتمردين بالاحتفاظ بالأسلحة الخفيفة والبقاء في مناطقهم، ولم يُجبروا على الانتقال إلى إدلب كرفاق لهم في أماكن أخرى، وأفرز ذلك الاتفاق وضعية يسودها التوتر، ولكنها مستقرة إلى حد كبير، حيث شهد استمرار سيطرة الثوار المحليين على أحيائهم بينما تسيطر قوات النظام على المداخل والإمدادات.

وبالرغم من التوترات المستمرة وتبادل إطلاق النار من حين لآخر، إلا أن ذلك الاتفاق استمر لمدة ثلاث سنوات، ووصلت الأمور إلى ذروتها المحتومة قبل شهرين، حين أثارت التوغلات الزاحفة من ميليشيات النظام رد فعل عنيف من قبل المتمردين وعلى إثره فرضت الحكومة حصارا واسع النطاق ردا على ذلك. وبعد أسابيع من الاشتباكات والقصف المدفعي وسط ما بدا وكأنه هجوم حكومي وشيك وكبير، تدخل وسطاء روس لتأمين خروج معظم المتمردين المتبقين إلى شمال سوريا في الخامس والعشرين من أغسطس، وأفضى الاتفاق إلى سيطرة قوات النظام سيطرة شبه كاملة على مدينة درعا بأكملها لأول مرة منذ عقد من الزمان.

ولكن هذه النتيجة تكذب الكارثة العسكرية التي سبقتها، فمنذ أن قررت دمشق إنهاء الأزمة بالقوة في أواخر يوليو الماضي، عانت قواتها من مهانة تلو الأخرى، فلم يكن أداء الفرقة الرابعة المدرعة المسؤولة عن محاصرة درعا أفضل من أداء أي ميليشيا أخرى شبه مدربة تعمل في صفوف النظام، مع أنها هي الوحدة العسكرية الأبرز التابعة للنظام ويترأسها شقيق الأسد ماهر.

وأظهرت لقطات مصورة مقاتلين من المتمردين، وهم يستولون على نقاط تفتيش تابعة للنظام ويأسرون مجموعة من الجنود كما حصل في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين بالرغم من عدم حيازتهم أسلحة ثقيلة ومعاناتهم لسنوات من العزلة. وقد فشلت الهجمات الحكومية في إحراز أي تقدم في الأحياء التي يسيطر عليها المتمردون وتم صدهم مرارا وتكرارا من دون عناء يذكر. وفي النهاية، كان الإنجاز الوحيد الذي تمكنت القوات الحكومية من تحقيقه هو قصف المدينة بشكل عشوائي وحشد القوات لشن هجوم أوسع، والذي كان من المحتمل أن يواجه صعوبات جمة.

ولذا فقد كان على أحد حلفاء النظام التعامل مع تلك الفوضى، وكان ذلك من نصيب روسيا التي نفذت وقف إطلاق النار لعام 2018 في المنطقة، والتي تنال ثقة السكان المحليين أكثر من الميليشيات الإيرانية، التي تمثل الخيار الآخر.

وقد أظهر ذلك نفوذ الأسد على حلفائه الأجانب، حيث استطاع إشعال فتيل الحرب بعد أن خمدت نيرانها والوصول إلى حل لا رجعة فيه، سيان وصل لغايته من خلال الوسائل الدبلوماسية أو الطرق العسكرية الصرفة. ومن الجانب الآخر، لم ترغب روسيا في أن يفشل الهدوء الهش الذي فرضته قبل ثلاث سنوات وينهار انهيارا كاملا، وعليه تدخلت في الصراع ولبت أمنية النظام في فرض السيطرة من خلال طرق أكثر مرونة.

مدينة درعا

- مركز الثورة السورية
- سيطر عليها النظام عام 2018
- بقي المعارضون محتفظين بأسلحتهم

والدرس المستفاد من هذه الملحمة هو عجز قوات النظام التام عن تحقيق أي شيء على الصعيد العسكري قبل التدخل الروسي، صحيح أن الجماعات المتحصنة في درعا لم تكن قليلة الخبرة في مجال القتال، حيث كان لتلك الفصائل رصيد كبير من الخبرات القتالية، لكن القدرات القتالية حتى لقوات "النخبة" التابعة للنظام أثبتت فشلها لدرجة أنه من الصعب تخيل أنهم قادرون على الإطاحة بأي تمرد منظم، أو شبه مُنظم، وكان الخيار المحتمل من استمرار النزاع في تلك المنطقة المكتظة بالسكان هو سلسلة لا نهائية من هجمات المشاة الفاشلة والتي تخلق حملات من القصف العشوائي، تماما مثلما فشلت قوات النظام لسنوات في اختراق بعض الأحياء مثل حي جوبر والقابون، الواقعة على بعد كيلومترات قليلة من وسط دمشق، فمن الواضح أن التدريب العسكري الروسي لم يستطع تغيير موازين القوة لصالح النظام.

وتُظهر أحداث الصيف في درعا أن استخدام القوة الغاشمة التي يتبعها الأسد كحل وحيد للحفاظ على سيطرته مقدر له بالفشل متى انسحب داعموه الأجانب، وقد تخلت الحكومة السورية منذ فترة طويلة عن التظاهر بإعادة إعمار البلد أو محاولة جعل الحياة صالحة للعيش لمن تبقى من مواطنيها، واختارت بدلا من ذلك استنزاف الأموال القليلة التي لا تزال تتدفق، بينما تحكم سيطرتها من خلال سياسة التخويف، وهي بذلك تضع عبء الحفاظ على الأمن على عاتق حلفائها.

وفي حين أن سوريا لا تشبه أفغانستان تحت حماية الناتو، إلا أن هناك أوجه تشابه في ما يخص اعتماد الأسد على القوات الأجنبية، والسؤال القائم هو ما إذا كانت روسيا أو إيران ستسحبان قواتهما طواعية من على الأراضي السورية، وإذا فعلتا ذلك، فإن سقوط دمشق التي يحكمها الأسد قد يأتي بوتيرة سريعة، وربما أسرع مما حصل لكابول.

* سنديكيشن بيورو

اسأل عن الروس في درعا